مُلَحٌ

سأل معلم تلميذاً لماذا يمشي السرطان الى الوراء فاجابه لانه لا يرى حاجة لان يدير ظهره ما دام في نيته العودة الى حيث كان

*
* *

سأل رجل خادم امرأة عن الخادمة فاجابه انها في الغرفة العليا تصلح شعر السيدة فقال له وهل السيدة معها ...

*
* *

وصايا طبية — لا تشرب لئلا تعطش ثانية
لا تقرأ لئلا يتعب نظرك
لا تذهب الى المحاكم وفضل عليها البيمارستان
لا تتذكر شيئاً ولا سيما ديونك
لا تشتغل لئلا تتعب
لا تلبس لئلا يتضايق جسمك
لا تفتكر حين تتكلم لئلا تجهد نفسك بعملين في وقت واحد
لا تضيع صبرك لانك لا تجد احداً يلاقيه ويرده اليك
لا تحزن اذا افلست وافرح لان الافلاس لم يكن اشد
لا تتزوج صغيرة ولا تتزوج كبيرة او لا تتزوج بالاطلاق
لا تعمل شيئاً بل مت

أنيس المجلس

الجزء الثاني — السنة السابعة

{الاسكندرية في ٢٩ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤}

{الموافق ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٢١}

الصحافة العربية

تنتشر الصحافة العربية في هذه الايام انتشاراً يوشك ان يتجاوز حدود التدريج فهي بعد ان كانت في الشام ومصر امتدت الى تونس والجزائر ومراكش ثم تخطت الاوقيانوس الاتلنتيكي فوصلت الى اميركا وامتدت بها من نيويورك وفيلادلفيا شمالاً الى ريو جانيرو وبونس ايرس جنوباً وهي الان تنتشر ايضاً في الهند والبلاد العربية وبلاد فارس وسائر البلاد العثمانية كما ان حالها الحاضرة تبشر بزيادة انتشارها في كل مكان ينطق فيه بالضاد وفي ذلك ما يدل على ان جمال اللغة العربية نفسه هو الذي ينشر صحافتها ويزيد الولوع بها لانه قد كان من حق هذه اللغة ان تتقهقر حتى تفنى لان الافرنج يعاكسونها ولان التكسب من هذه اللغة وصحافتها اقل بكثير من

مبلغ ارتقائها والرغبة فيها ولذلك نجد الكثيرين ينشرون الصحائف وهم في غنى عن ارباحها او على الاقل نيل الاجرة منها وذلك لفرط شغفهم بها وحبهم المنافسة فيها . وانه من اجل هذا يصح من نخالف القائلين بان اللغة العربية تموت بدليل ما نشاهده من هذه الحياة التي تبشر بالتمام

ثم انه ليست الصحافة هي التي ترتقي وحدها ويزداد انتشارها بل ان الآداب العربية بعمومها قد امتدت ونمت حتى صارت هوًى في اكثر النفوس ولذلك كثر بيننا الكتاب والشعراء والنقاد فاصبح الكاتب المتوسط بيننا وهو احسن بياناً وانشاء من اعظم كاتب كان من عشرين وثلاثين سنة وكذلك الشعراء فان اعظم شاعر من ذاك العهد لم يكن يبلغ درجة الشاعر المتوسط الان بل ان لدينا من الشعراء الممتازين في هذه الايام من لا يقلون عن الشعراء الممتازين ايام بغداد وقرطبة وكل هذا قد جاء على الارجح من عند الصحافة لانها معرض الافكار وميدان المنافسة وواسطة التداني

الا ان هذه الصحافة مع كثرة الولوع بها والاقبال عليها والاكثار من نشرها لا تزال مقصرة تقصيراً فاضحاً من حيث لغتها وطرق الكتابة والتعبير بها فهي مهما نمت اعدادها وحسنت مواضيعها وطاب الاختيار لها لا تسلم من تبعة التقصير لان سلامة الانشاء هي العمدة والجوهر وما بقي فاعراض وفضول

ولقد يعلم الناطقون بالضاد ان جناب زميلنا العلامة المحقق الشيخ ابرهيم اليازجي يعتبر من اشد العرب غيرة على اللغة واكثرهم تمسكا باصولها ورد الخطأ عنها ولذلك عزَّ عليه ما وجده في جميع الصحائف من الخطأ الذي جرى عليه اكثر الكتاب فنشر في مجلته الغراء « الضياء » فصولاً متتابعة نبه فيها

الى مواضع ذاك الخطأ ورده الى الصواب واشار الى وجوه الاستعمال الفصحى بحيث خدم الصحافة العربية خدمة جلى ولا سيما بعد ان جمعت تلك الفصول وطبعت كتاباً مستقلاً يسهل اقتناؤه والرجوع اليه بحيث ان الذي ينتبه الى ذاك التصحيح ثم يكتب تبدو كتابته نقية لا يعيبها شيء من ذاك الخطأ الفاضح القديم واذا بدا ثمت عيب فانما يكون من ضعف العبارة وسقم التركيب وفساد الاختيار وهو ما يوكل اصلاحه الى الذوق وطول المزاولة ولا سبيل الى التنبيه اليه كله لانه يقتضي العلم كله

على انه قد كان يهون على محبي العربية ان يبقى ذاك الخطأ القديم على عهده ولا يكون مصحوباً بما هو اشد منه افساداً للغة ودلالة على تقصير الكاتبين بها فانت قد تعذر الكاتب اذا استعمل لفظة في غير موضعها او فهم منها غير المقصود بها ولكن ما عذره لديك حين تراه في درجة ينشىء بها الفصول ويحرر الصحائف وهو يكتب مطرداً « مضطرداً » ويريد النزر فيرسمها « النذر » والثقات فيخطها « الثقاة » والزمام فيكتب « الذمام » وبقوا « بقيوا » والوفيات « الوفيّات » الى شيء كثير من مثل ذلك تبدو فيه الجهالة دون خطأ الطبع ويعتبر عيباً على صبي المدرسة فضلاً عن محرر الصحيفة وهادي الامة . ولهذا نعتبر ان ما قصده جناب زميلنا المشار اليه يعد كمالياً بالقياس الى هذا كما ان هذا الخطأ الفاضح مما يقتضي من جنابه غيرة اخرى فيدل كتابنا « المجيدين » على كيفية الكتابة وتصوير الكلمات حتى تسلم الصحافة من هذه العيوب التي لا يرتكبها الافرنج والدخلاء في العربية

على اننا كنا نسلم بهذا الخطأ مهما شان وعاب لولا ان شيئاً اعظم منه يصاحبه وهو اعتقاد هولاء الكتاب بان خطأهم غير خطأ وان الذي يعيبهم

يعد متعنتاً لانهم لا يجدون فرقا جوهريا بين الذال والزاي والضاد والظاء وبين كلمة فصيحة وغير فصيحة ما دام المعنى ظاهراً والتفهم حاصلاً وهذا ولاشك من اغرب الاعتقادات واشدها دلالةً على الجهالة وتعمد الاذى للغة توفيراً لشيء من الراحة دون البحث والاستفادة والتقرب نحو الكمال

ثم ان هذا الخطاب لو كان حادثاً من لفظة او تركيب لهان وتكفل المدى برده ولكنه حادث من نفس المبدأ وهو الاعتقاد بانه لا حاجة الى الفصاحة والبلاغة وان الجمال الحقيقي هو معنى الكلام وموضوعه فمتى حسن المعنى ظهر قالبه حسناً من قبيل ان السر في السكان لا في المكان . ونعم ان المعنى هو كل المقصود من القول والا لما كان قول ولكن معنى الكرسي مثلا والمستفاد منه هو الجلوس عليه فهل نعتبر جذعاً نجلس عليه بمقام كرسي من خشب صقيل ما دامت راحة الجلوس قد حدثت من كليهما

ألا انه لو جرى على ذاك الاعتبار لتقوض جمال الدنيا وذهبت زخارفها وزالت محاسنها وطويت مدنيتها ورجع حضريها متوحشاً وانيسها نافراً وليس ذلك من جهة الانشاء فقط بل من جهة كل حالة فترى الناس لا يلبسون الحرير لان معناه مستفاد من القطن او ورق الشجر ولا يتختمون بالالماس لان معناه موجود في الثروة والدلالة على الغنى وهي موجودة في كثرة الماشية مثلاً وقس على ذلك ما تشاء تجد ان هذه المدنية الجميلة التي وصلنا اليها انما هي فصاحة المعيشة كما ان سلامة التركيب هي فصاحة اللغة ولهذا لا يصح افتراق الفصاحتين لانهما متلازمتان لا تقوم احداهما بدون صاحبتها

ثم ان جمال الكلام وحسن تنميقه ووضع الحدود له لرد الخطأ عنه هو الذي قضى بلبس الحرير والتختم بالياقوت ولو لم يكن في الظاهر كل

متختم فصيحاً وذلك لان الناس انما تمدنوا اولاً بكلامهم حتى تمدنوا بتصرفاتهم ومعايشهم وهم كما انهم لا يهون عليهم ان يلبسوا القميص غير مكوي كذلك لا ينبغي ان يهون عليهم سماع العبارة او كتابتها غير فصيحة ثم هم قد يريدون التساهل ليلبسوا القميص غير مكوي ولكنهم يرون انهم ان يفعلوا ذلك يتناولوا ربطة العنق فيزيلوها وازرار القميص فيستغنوا عنها وهكذا حتى يصيروا واهل الهوتنتوت سواء في المعايش والمدارك وانما يحدث ذلك لان المدنية اجزاء كاجزاء العقد فاذا سقطت منه فريدة تلتها سائر الفرائد حتى لا يبقى الا السلك . وانه من اجل هذا نجد رجال الدين لا يريدون التساهل بشيء من شروطه التي تبدو في الظاهر غير مهمة وذلك لهذا الاعتبار نفسه وخشيتهم من ان شرطاً يلغى يكون قائداً لسائر الشروط حتى يمتنع الدين اصلاً

ولقد كنا قرأنا في بعض الجرائد السورية اعترافا بفضل زميلنا اليازجي على اللغة العربية واجتهاده لصونها وضبطها ولكنه كان اعترافاً ممزوجاً ببعض اللوم لعدم تساهله بشيء من اللغة وشدة رغبته في استعمال الفصيح المنقى دون الرضى بادنى خلل يصيب جوهر اللغة

الا اننا لا نرى رأي احد في لومه مهما بالغ في الحذر لانه يعتقد ان اللغة موصولة الاجزاء فهو يخشى اذا ضعف منها جزء ان يعدي سائر الاجزاء حتى تموت اللغة موتاً وعند ذلك تموت مدنية العرب الحقيقية اذا داموا ناطقين بلغتهم على غير نظام والا دامت وكانوا فرنسويين او انكليز ولكن من المحال ان تدوم لهم او لاي شعب الا اذا كانوا فصحاء في اللغة التي يختارونها ولكن شعبنا لما كان قد خلق عربياً فالافضل له ان يختار الفصاحة ويتنافس بها ابقاء على مدنيته ما دام لا بد له من هذه الفصاحة اذا اختار الاعجمية على

العربية وليعتقد انه من المحال ان تكون لغة بلا قيود ولا ضوابط ويكون اهلها متمدنين ثم ليعتقد كل قاصر النظر ان الذين ابدعوا علوم النحو والصرف والعروض والبيان وسائر جوامع الكلام وقيوده قد كانوا اوفر منه عقلاً واوسع ادراكا وابعد نظراً وانهم ما خلقوا هذا عبثاً

مقصورة

لغير عينيك عناني ما عنا ... وليس ما برح بي داء الهوى
اني اراني للعوادي طلبة ... يرتدنها من كل فج ورجا
لو زرتني والليل يسري نجمه ... رأيت من اسرابها ما قد سرى
تدافع الهيم أطال ظمأها ... مسيمها وخليت تروي الصدى
فمن سقيط تله إعياؤه ... وفارط جد به فرط القوى
انكرت شيبي ناشئاً لم يعدني ... وان عداني طيبه عصر الصبى
واني امشي مكباً مثلما ... يمشي الكبير عاكفاً على العصا
رب فتى كالشيخ في مشيته ... ورب شيخ في صباه كالفتى
ايسر ما بي شيب فودي والذي ... انكرت من سقم كساني ما كسا
ولو رأت عيناك قلبي ارتدتا ... والدمع يجري منهما جري الحيا
امسى تفرى فهو مما نابه ... كأنما شك باطراف القنا
يوشك ان لا يمسك الهم اذا ... صوب فيه ممعناً ثم ارتقى
غالته اسراب الهموم تنتحي ... تحت الظلام جوّعاً تبغي القرى

عوّدها الجود وان لج به ... ضر وقد يؤذي الجواد ما حبا
اقصرت عن غي الصبى فاقصري ... ولا يهج شجوك منه ما مضى
ولا تسحي دمع عينيك على ... ما مرّ من عيش لنا حلو الجنى
امسى كلانا صدعت اهواءه ... خطوب دهر تنتحينا بالاسى
لا تعذليني ان تجلت غمرتي ... وان صحا عنك فؤادي وارعوى
ليت الهوى اصبح شغلي وحده ... وليتني منيت فيه بالردى
وليت سهدي كان من جرائه ... إما لتيه كان منك او قلى
كأنني والصحب حولي هجع ... وقد تحامى مقلتي سرب الكرى
ذو صبية باتت تلوّى حوله ... لفرط ما جد بها من الطوى
تحنو عليها مستهلاً دمعها ... خرقاء لا توكي على غير البكا
نال الضنى منها واشقى عيشها ... جوع وعري شانها بين الملا
لامته ان لم يحترث لنفعها ... ويضطرب في الارض يرتاد الغنى
وساءها ان ابصرت جاراتها ... يرفلن في الوشي عليهن الحلى
لم تستتم لومه حتى اتى ... طارق ليل شفه طول السرى
افضى اليه يقتضي ديونه ... وخاله ينجز ما كان وأى
فلج في اعنائه اذ ساءه ... إعساره وغاظه طول المدى
كأنني ذاك وليتي كنته ... اذا اراح عازب الهم الدجى
وربما انشق الصباح فانبرت ... تحمل همي جأبة تنفي الحصى
تعدو أمام الحمر لا يلحقنها ... وان جهدن خلفها سير القطا
اذا اللجام صل زالت ميعة ... وانطلقت لا تشتكي مس الونى
اعددتها للهم امضيه بها ... اذا استطار في الضلوع والحشى